أهمية الوقت عند العلماء

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي أقسم بالعصر ، و الفجر ، و ليال عشر، و أقسم بالضحى ، و الليل . ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان:٦٢] .

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله وسلم و بارك عليه . أما بعد :

فضل الله ﷻ بعض الأزمان على بعض ، كما قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨] . فلقد اختار الله ﷻ رمضان ، و اختار عشر ذي الحجة ، و اختار بعض الليالي المباركة ، و اختار يوم الجمعة . فهي أيام فاضلة مباركة ، و هي من أفضل الأوقات .

قال ﷺ : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ) . و قال ﷺ : (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : **عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه**) ، و كانت من أهم الأسئلة : عن عمره فيما أفناه ، و عن شبابه فيما أبلاه . فقد انقضت ثلث الأسئلة فيما يتعلق بالوقت و الحياة .

أهمية الوقت

الوقت هو الحياة ، فقد جاء في الحديث: **"لا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها"** . و قد روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : **"ما من ميت يموت إلا ويتحسر إن كان محسنًا ألا يكون قد ازداد وإن كان مسيئًا ألا يكون قد استعتب"** ، أي أنه يطلب الرجوع ، و يطلب العفو .

و من العبارات المشهورة : الوقت هو الحياة . فالوقت أعلى و أغلى من السيف ، و أعلى و أغلى من الذهب ؛ لأن الإنسان لو فقد الذهب عاش فقيراً ، و لربما مات خفيف الظهر من الذنوب ، ثم يدخل الجنة ، لكن من فَقَدَ الوقت فقد فَقَدَ الحياة .

و الوقت ثمين عند العلماء ، و يتمثل ذلك فيما يلي :

في استغلال الوقت عند أهل العلم ، و من ذلك استغلال الوقت في المشي ، و في السيارة ، و في المرض ، و في سكرات الموت . كذلك الظن بالوقت ، و عدم تضييع شيء منه ، فالدقائق التي نتساهل بها هي في ميزان العلماء عظيمة و دقيقة جداً ، فيحرصون عليها . و كم فيها الدقيقة الواحدة من الأعمال الخيرية ؟

ففي الدقيقة الواحدة : تقرأ سورة الإخلاص قرابة الأربعين مرة ، و من لم

يجرب فلن يعرف قدره ، كما قال الشاعر ابن الأمير الصنعاني :

فمن لم يجرب ليس يعرف قدره   فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه

و كثير من أعمال البر تُنجز خلال دقيقة .

كذلك من عادات العلماء في استغلال الوقت : انتهاز أي فرصة ، و إن قلّت ، في أي مكان ، أو زمان ، للدعوة أو التعليم . و في الحديث : **" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل "** ، و قد دل ذلك على استغلال الوقت ، و انتهاز الفرص و لو قلّ الوقت . فقد يلقي الإنسان كلمة عابرة لا يلقي لها بالاً يبلغ بها مبلغاً عظيماً من رضوان الله .

و من عاداتهم : الدقة في المواعيد ، و احترام أوقات الآخرين ، و الانتفاع بالوقت في كل وقت ، و على كل حالٍ ، في الصحة و المرض ، في السفر و الحضر، في الطائرة ، على متن السفينة ، في الحج ، في الرحلات ، و النزهة ، حتى في أوقات المزاح ، و الواجبات . و عدم تأخير حقوق الناس.

إدراك بركة الوقت

لا يوجد شخص إلا و ينشُد البركة في وقته . و لذلك يتساءل أحدنا كيف ندرك بركة الوقت ؟ و هل أوقاتنا كأوقات أولئك العلماء ؟

الحافظ بن حجر رحمه الله قرأ من معجم الطبراني الصغير بين الظهر و

العصر ، و هو من أعجب و أسرع ما نُقل في قراءة الحديث ، و هي قراءة إجازة ، و غيره كثير من أهل العلم ، فمنهم من يختم القرآن في ليلة ، فيهم من يصلي عشرات الركعات ، فهل أوقاتنا كأوقاتهم ؟

لا شك أن من أشراط الساعة كما في الحديث : (تقارب الزمان) ، لكن يوجد من أهل عصرنا ، من العلماء ، و من الزهاد ، و من العبّاد من يأتي بأعمال كثيرة في أوقات قليلة . و اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، فقيل : معنى ذلك سرعة انقضاء الأيام و الأوقات و الساعات . و قد جاء في حديث آخر مفسراً عند ابن حبان عنه ﷺ أنه قال : **" تكون السنة كالشهر ، و الشهر كالأسبوع ، و الأسبوع كاليوم ، و اليوم كالساعة ، و الساعة كاحتراق سعفة النخل "** ، هذا تفسير تقارب الزمان . وقال بعض أهل العلم : أن المعنى من تقارب الزمان : عدم الانتفاع بالوقت ، فيذهب الوقت سدى ، وسريعاً لا ينتفع به الإنسان ، فيكون وقته متقارباً لا يميز بين وقت الصباح و وقت الليل ؛ من سرعة انقضاء الوقت . و قيل : أن سرعة انقضاء الوقت حسية . و قيل: أنها سرعة معنوية . و هذه الأقوال في هذا المعنى متداخلة . و قيل : بل لسهولة الاتصال ، و التواصل ، و المواصلات بين الناس ؛ صار الوقت سريعاً ، فينجز المرء أموراً كثيرة في وقت قليل ، فكأن الوقت قد تقارب . و هذا الأخير هو اختيار الشيخ حمود التويجري ، و الشيخ ابن باز ، و عدد من أهل العلم ، و ذلك بعد

وجود الاكتشافات الحديثة .

و الله تعالى وهبَ هذه الأمة المرحومة أعمالاً جليلة عظيمة ، و رتّب عليها الأجور العظيمة في وقت قصير . ذلك أن أعمار هذه الأمة لا تقاس بأعمار الأمم الماضية ، كما أخبر النبي ﷺ : وأعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين . و من هذه الأعمال : إدراك ليلة القدر ، و مضاعفة ثواب بعض العبادات .

و ليتنبّه المسلم إلى وقته ، فيضع خطة عملية للانتفاع منه ، و بخاصة طالب العلم للانتفاع بوقته ، و مواقف العلماء في استغلال الوقت مهمة لشحذ الهمة ، لكن إن لم يكن مع هذه المواقف برنامج عملي لاستغلال الوقت ، فلن تنفع الحكايات و الأخبار في هذا الشأن . و الإنسان أدرى بنفسه ، و كل شخص يعرف ما هي الواجبات ، و ما إمكانياته .

و يختلف استغلال الوقت باعتبار عمر الإنسان ، و كثرة ارتباطاته ، و فترات العمل التي يقضيها ، هل يعمل طيلة النهار كما في بعض الشركات . فكلٌ أدرى بنفسه ، و البس لكل حالة لبوسها .

المهم أن توضع خطة عملية ، خطة بالتدرج ، و أن لا يكون الإنسان حادَّ النظر ، أو التفكير ، إما أن يعمل وفق هذا المخطط بدقة كما هو أو يفشل. فالبعض ربما يكتب خطة عملية لإنجاز كتاب ما ، أو إنهاء شيء معين في مدة معينة ، فإن لم يعمل بهذه الخطة في هذا الوقت المعين ، خلال أسبوع ،

ثلاثة أيام ، أو شهر ، و إلا فإنه يعتبر نفسه قد فشل ، فيترك كل الخطط و الترتيبات . فليتدرج الإنسان بنفسه .

و التدرج من أهم الأمور في الإنجاز ، ثم منح النفس شيئاً من الفسحة ، و إلا فالخطط و البرامج كثيرة ، و يتفاوت الناس في ذلك .

إذا كان الإنسان مقبلاً على حفظ القرآن الكريم فقط ، فله برنامج . و إذا كان لديه مع حفظ القرآن حفظ بعض المتون ، فيكون له برنامج آخر . و إذا كان مع حفظ القرآن و المتون منتظم في حضور دروس علميه ، فلذلك برنامج آخر . و إذا كان مع حفظ القرآن و الدروس و حفظ المتون مشاركاً في برامج دعوية ، فإنه يختلف برنامجه . و كذلك إذا كان مع البرامج الدعوية زيادة أعمال إغاثية ، أو إذا كان أهله في حاجته . فالأمر يتفاوت أيضاً من حال إلى حال .

و لذلك ، قال الإمام الشافعي : لو كلفني أهلي شراء بصلة ما حفظت مسألة . فإشغال النفس بأعمال جانبية ، و ربما تافهة ، أو يقدّم غير المهم على الأهم و المهم ، فهذا مما يجعل الإنسان حياته سبهللا .

من الإشارات والإضاءات العظيمة في هذه الشريعة المباركة التي تُجلّي للمسلم أهمية الوقت ، و مكانته في الإسلام : أحكام المواقيت في الصلاة ، و أحكام المواقيت الزمانية و المكانية في الحج ، بل إن جميع أركان الإسلام

الأربعة ، ما عدا الشهادتين ، مرتبطة بالوقت ، كالصوم ، فإنه مربوط بوقت ، و الصلاة كذلك : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣] ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥] كذلك الحج : ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩] ، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة:١٩٧] . و الزكاة كذلك لها ارتباط ، و أي ارتباط بالوقت . و كون الزكاة حولية ، هذا يجعلها مربوطة بالوقت ، كل شخص يوقّت لزكاته بوقت حصوله على المال ، و ما هذا إلا لعظمة الوقت .

احذر من ضياع الأوقات . و احذر من سوف و لعل . قال الناظم :

و لا ترج فعل الخير يوماً إلى غدٍ   لعل غداً يأتي و أنت فقيدُ

و قال الآخر :

ولا أدخر شغل اليوم عن كسل   إلى غد إن يوم العاجزين غدُ

و بعض العاجزين يؤجل ، فيومه هو الغد ، و ذلك من ضياع الأوقات بكثرة الزيارات و اللقاءات و المجالس التي لا ينتفع بها مع الإطالة ، و كثرة الخلطة و صحبة البطالين . كما قال أحدهم :

ان البطالة والكسل   احلى مذاق من عسل

ان لم تصدقني فسل   من كان مثلي في كسل

معالم في الوقت في تراجم العلماء

استغلال الطفولة في التربية و التعليم

تجد و أنت تقلب صفحات التاريخ و كتب التراجم لعلماء الأمة من السابقين ، و ممن نبغ من المعاصرين ، أن فلاناً حفظ القرآن صغيراً ، و رحل و هو دون العشرين ، جلس للإفتاء و هو في السابعة عشر ة من عمره ، مثل الإمام مالك ، الذي شهد له سبعون من شيوخه أنه أهل للفتيا . و ابن تيميه كذلك و هو ذاهب للكتاب في صغره اعترضه ذميٌّ بشبهة ، فرد عليه ابن تيميه ، فأسلم ذلك الذمي . هذا ، و ابن تيمية دون العاشرة .

و تقلب الصفحات ، فتجد أن فلاناً قد قرأ العلم على المشايخ ، و برز و هو دون العشرين . و ما هذا الأمر إلا لتربية قوية ، جادة جيدة ، استغل فيها وقته ، أو كان وليه أو المشرف عليه أو شيخه يراعيه و يتابعه ، ينتبه له و يحافظ عليه ، و يقضي معه الأوقات الطويلة ؛ ليتخرج عالم ، أو داعية من دعاة الإسلام .

ارتباط الراحة و السعادة بالإنجاز

المنتفع بوقته ، و الذي يقسم أعماله على الوقت ، يشعر بسعادة و ارتياح بعد الانجاز.

فمن ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ، و قد صار معلماً ، وقاضياً ، و له برامج في الإذاعة ، و يفتي ، و يقود مظاهرات ضد الفرنسيين أيام الشباب ، وحتى و هو قد طال به العمر – رحمه الله – ، فيقول : كنت أشكو من العمل و كثرة الشغل ، فلما تفرغت شكوت أشد من الفراغ .

فمن كان مشغولاً بأمر دنيوي مباح ، أو بأمر ديني ، فهو في نعمة عظيمة ، و صدق الشاعر أبو العتاهية إذ يقول :

أن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

بذل الوقت في النفع المتعدي

بذل الوقت في النفع المتعدي للآخرين ليس مضيعة للوقت كما يظنه البعض . فقد يتبادر لأذهان بعض من يهتم بوقته ، أو يقرأ في الوقت ، أن الانتفاع بالوقت أن يكون حبيس الدار ، يذهب للصلاة ، و يرجع ليقرأ ، و ينجز لنفسه فقط . حبيس داره من غير نفع متعدٍّ للآخرين بأعمال دعوية و تعليمية ، أو إغاثية ، أو تربوية ، و ليس هذا هو استغلال الوقت ، بل ليس مضيعة للوقت ؛ لأن أجور النفع المتعدي تمتد بعدك ، أو تمتد إلى ما

بعد وفاتك . و إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، كما جاء في صحيح مسلم .

الوقت يمضي على المرتب و المذبذب

الوقت ذاهب لا محالة . فالفوضوي سيذهب وقته ، و المرتب و المؤَصّل سيحصّل النفع ؛ لاستغلاله وقته فيما يعود عليه بالفائدة .

من أقوال السلف في أهمية الوقت

قال الحسن البصري رحمه الله: أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على ديناره و درهمه .

وقال أبو بكر بن عياش : لو ضاع درهم أحدهم لقال : إنا لله ، ضاع درهمي ، و هو طول يومه لم يعمل بالطاعات.

بمعنى أن من لم يعمل بالطاعة طول يومه أشد ضياعاً من ضياع الدرهم أو الدينار .

و يقول ابن القيم رحمه الله : إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن الموت يقطعك عن الدنيا ، و إضاعة الوقت تقطعك عن الله .

أمور تعين على حفظ الوقت

مما يعين على إدراك أهمية الوقت ، و الحرص على استغلاله ، و الاستفادة منه : معرفة شرف الزمان ، و أن الحياة أغلى و أعلى من الذهب و السيف . كذلك مجالسة من يحافظ على وقته ، و قراءة أخبارهم ، و قصصهم . و الوقت كالسيف أو كما في الأمثال : كسحابة صيف ، عن قليل تقشّعُ .

السينات الثلاث

السهر و السمر و السفر ، هذه من مضيعات الوقت .

أما ما يتعلق بالسهر ، فقد ابتلينا به ، و النبي ﷺ كره الحديث بعد العشاء ، إلا في مصالح المسلمين . و استثني طلب العلم ، و مصالح المسلمين ، و انشغال الإنسان بضيفه ، أو بأهله. و أغلب ارتباطاتنا هذا الزمان تكون بعد العشاء ، هذا في الأغلب . و السهر و السمر أصبح من سماتنا هذا الزمن ، و حتى الانشغال بشيء مباح أو قد يزيد إلى شيء غير مباح ، ثم السفر ، إلا إذا كان هذا السفر في العلم ، أو العبادة فأكرم به من شغل .

اختلاف الهمم

ساقطُ الهمة همته دنية . من ذلك ما قال أبو نواس :

إنما العيش سماع و مدام و ندام   فإذا فاتك هذا فعلى العيش السلام

هذه همة بعضهم ، همة ساقطة .

أما البعض فهمته تحوم حول العرش ، و بعضهم يدور حول الحُش.

فبعضهم يفكر فيما يصلح قلبه ،كما كان حال الصحابة ﷺ ، وعدد منا يفكر فيما يصلح بطنه و مطعمه و مشربه . و صدق الله العظيم : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل:٤]

قال ربيعة بن ثابت :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد سليم و الأغر بن حاتم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله   وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

أتلف ماله بالكرم و الخير و المروءات .

و من الناس من همته في الثريا ، بينما تجد من همته تكون في الثرى ، كما قال الشاعر أبو تمام:

بَصُرت بالراحة الكبرى فلم ترها   تُنال إلَّا على جسر من التعبِ

و صاحب الهمة لسان حاله يقول كما قال أبو فراس الحمداني :

إذا لم أجد من بلدة ما أريده   فعندي لأخرى عزمة و ركاب

هدر الأوقات

ضياع الوقت في أربعة : المنام ، و الدوام ، و الإدام ، و المدام . هذه من المشغلات . و من مضيعات الوقت : انشغال الناس بالمنام ، كثرة النوم ، و قد بين ابن القيم أن من أسباب قسوة القلب : كثرة النوم . كما بين أن النوم المعتدل ثلث اليوم ، و هذا الطبيعي ، و لا يزيد عليه ، لكن من الناس من ينام أقل من ذلك ، كحال العلماء الثلاثة : الألباني ، و ابن باز ، و ابن عثيمين . أما الألباني و ابن باز ، فلا يتجاوز نومهم الأربع ساعات . و ابن عثيمين في رمضان و العشر الأواخر منه لا يجاوز الأربع ساعات .

أما الدوام ، فيأخذ ذروة الوقت و سنامه ، و أهم الوقت . و كثير من وقت الدوام ضياع وقت ، و بالذات لمن يقابل الناس ، من الموظفين ، أو من المعلمين الذين يقابلون الطلاب . ولو أراد الإنسان أن ينتفع بوقته ما استطاع . و من جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي. و من كان معلماً يلاحظ هذا الأمر . فلو أردت أن تفرغ ذهنك لإنجاز شيء ، أو قراءة ، أو اطّلاع ، أو راحة ذهنية ، ما تستطيع . و تشعر كأنك في صالة مطار دائماً ، كأنك على وفز تنتظر رحلة ، أو كأنك عند الجمرات . هكذا حال المعلم مع

الطلاب . و انشغال الذهن من أسباب ضياع الأوقات .

فمن الإحسان على الأمة عموماً ، وعلى الدعوة و الدعاة ، و العلم و العلماء ، أن تنتبه الأمة إلى تفريغ علماء و معلمين في كل بلدة ، يكون فيها ثلاثة أو أربعة يفرغون للعلم و الدعوة ، و تعليم الناس. و ليكن المال الذي يتقاضاه راتباً على وظيفته متفرغاً للعلم و التعليم ، كما هي أوقاف عظيمة و قديمة كانت في زمن مضى ، فكان الناس يتفننون أيام الدول و الدويلات الإسلامية الماضية على ضعفها ، كانوا يتفننون في الأوقاف ، فمن الأوقاف التي مرت في التاريخ : أوقاف على حمام الحرم ، على شراء الشعير ؛ لينثر لحمام الحرم . هذه من الأوقاف التي كانت في التاريخ ، و الذي يشتري و ينثر للحمام كان من هذا الوقف . و من الأوقاف أيضاً : أوقاف لمطلقات الحرم المكي ، للمطلقات . هذه من بعض الأوقاف التي مرت في التاريخ ، و الآن نحتاج إلى أعمال علمية أو دعوية أو إغاثية ، و لا نجد إلا وقفاً أقل من القليل .

و عوداً إلى مضيعات الأوقات . فالمنام و الدوام و الإدام ، الذي هو الانشغال بالأكل و المدام ، و الإنسان إذا انشغل بأهله بإسراف يكون قد أضاع وقته . و لا أدعو إلى أن الإنسان يكون متسلطاً على أهله ، و لا يقوم بواجباته ، لا . فهناك واجبات شرعية متعينة ، لكنني أقصد إضاعة الوقت فيما لا ينفع ، و كم هو مؤلم أن ترى المسلم مضياعاً لوقته سبهللاً ،

مهدراً له ، لا يقدر قيمة ذلك الوقت . يقتل وقته بالتافه من المشاغل ، و قد ترى الكافر حريصاً على كل دقيقة في حياته . كما قيل :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها   وكل يوم مضى يدني من الأجل

قال الحسن البصري رحمه الله : يا بن آدم ، إنما أنت أيام مجموعة ، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك .

أسباب الحرص على الوقت

أولاً : أن يعرف الإنسان قد زمانه .

ثانياً : أن يتذكر المرء سرعة انقضاء الأيام و الأعوام .

ثالثاً : أن يتذكر أنه مسئول يوم القيامة عن الوقت .

أخي المسلم ، لن تجد منجزاً ، عالماً ، داعيةً مؤثراً ، أو خطيباً مؤثراً ، أو شخصاً نفعه متعدٍّ للمسلمين و لغير المسلمين ، إلا و هو حريص ، بل شحيح على وقته . و العمر يسير ، و أنت تسير ، كما قال ابن الجوزي – رحمه الله– في المدهش :

يا ابن آدم ، لا تغررك عافية   عليك شاملة فالعمر معدود
ما أنت إلا كزرع عند خضرته   بكل شيء من الأوقات مقصود
فإن سلمت من الآفات اجمعها   فأنت عند كمال الأمر محصود

و حفظ الوقت يكون بالعبادة و النوافل بأنواعها ، بالعلم الواجب الكفائي و العيني ، بالأذكار ، و بنفع الخلق ، بإغاثتهم و إعانتهم ، بترتيب الوقت ، بتنظيمه ، بأن يجعل وقتاً للطلب ، و وقتاً للنزهة ، و وقتاً للزيارات العلمية و الدعوية ، والصلة و المباحات ، و يضع جدولاً للزيارات و المشاريع و الأفكار التي أنجزها . و من رحمة الله بنا ربط حياتنا بالصلوات ، فمواعيد أهل الخير و الطاعة و عموم المسلمين ترتبط بالصلاة ، و هي علامة خير و صلاح . فإذا ضرب لك موعداً قال : آتيك بعد صلاة العشاء ، بعد المغرب . بخلاف من لا يقدر الصلاة قدرها ، و لا يعرف وقتها . فيربط مواعيده بالساعات ، و أحياناً لضبط الناس المهملين و الفوضويين تضطر أن تربطه بالساعة . و بعضهم لعدم احترامه للأوقات يقول : موعدنا الساعة الخامسة ، و إن لم تأته بعد ذلك التوقيت بربع ساعة ، فإنك تنتظر إلى نصف ساعة ، بل إلى ساعة . فتنتظره لعدم احترامه للتوقيت . و هذا شيءٌ واقعي ، لا لا أُغرب إن قلت أنه ظاهرة لعدد من الناس .

و بعض الناس يهجم عليك هجوماً في أوقات غير مناسبة ، ليس وقت زيارة ، و يعلم يقيناً ، بل يحفظ و يعلم قوله تعالى : ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [النور:٢٨] ، و مع ذلك يتضايق إذا اعتذرت بشغلك .

و البعض يأتي في أي وقت لأي شخص ، و ليس عنده أي موضوع ، ليطرح أي مشكلة في أي شأن ، بلا هدف ، بل هدفه تمضية الوقت فقط. يخرج من بيته ، و يشغل الشيخ الفلاني ، يصلي معه ، ثم يسلم عليه ، يريد أي شيء يتحدث معه فيه ، عن الأحداث ، عن الداخل ، عن الخارج ، عن العلم ، عن الدعوة ، المهم أن يقضي وقته ، بل ربما يتصور معه ، ثم يذهب . هؤلاء هم من قطاع الطريق ، و قد كان يتألم كثيراً ابن الجوزي لأمثال هؤلاء ، فيقول: إن حبست نفسي عن الناس . و هو عالم ، و يحتمل الناس منه لو حبس نفسه عنهم .

فيقول : يأتي بعض الناس من الفوضويين . فكنت أشغلهم بتقطيع الكاغد ، و تجهيز الورق ؛ لكتابة العلم . و بري الأقلام . فكان يشغلهم ببري الأقلام ، و يجعل مثل هذه الأوقات لإشغال المشُغلين ، إشغال الفوضويين .

آفات الوقت

من أكثر ما يسرق الوقت في عصرنا هذا : أجهزة التواصل ، بل هي أجهزة التقاطع ؛ لأن فيها تقاطع مصالح . يصل الإنسان البعيد ، و يترك القريب. يغفل عن أمه و أبيه و إخوانه و أبناؤه و أقاربه . كما يقول الشاعر :

جسمي معي غير أن الروح عندكم   فالجسم في غربة والروح في وطن

و لهذه الأجهزة ، و وسائل التواصل آثار بلا شك أنها سلبية.

و من آفات الوقت : هجوم بعض الناس المغرمين بهذه المفاجئات ، و هو مضياع لوقته ، لا يهتم بوقته ، و لا يقدر الوقت . و يظن أن الناس مثله عابثين بالوقت ، حتى لو جاء الإنسان بغير وقت زيارة ، فمن المروءة أن يقدم اعتذاراً و هذا من الأدب ، حتى لو كنت أكثر شهرة من الشيخ أو من الداعية أو من إمام المسجد أو عندك موضوع مهم عظيم للإسلام و المسلمين ، فإن المقابل أيضاً وقته ثمين .

كذلك من آفات الوقت : إخلاف الوعد من غير اعتذار سابق ، و هذا شيء مؤلم .

من أكثر الناس ضياعاً للوقت : المعلم ، و لا أدرى هناك شخص آخر يؤخذ من وقته غير المعلم ، لا أدري . و هنا أتحدث عن الوظائف العامة ، أما بالنسبة للمهن فأسأل الله أن يعين أصحابها .

الشيخ حافظ الحكمي :

يقول بعض من ترجم له : من أسباب نبوغه استثمار وقته ، بل جميع وقته في القراءة و الحفظ . فاشتهر على صغر سنه . و مات والداه و هو دون العشرين ، فكان كل وقته ما بين قراءة و تأليف ، و تعبد . صنف المنظومات الكثيرة ، و قد مات و هو دون الأربعين ، رحمه الله .

الشيخ حمود التويجري :

لازم شيخه الشيخ عبد الله العنقري خمساً و عشرين سنة . قرأ عليه فتح الباري ، فأتمّه ، و قرأ فتاوى شيخ الإسلام كلها ، و قرأ عليه الروض المربع مراراً ، و قرأ عليه الصحيحين مراراً ، و المغني لابن قدامة أيضاً .
و رثاه ابنه فقال عنه :

أترابه شغلوا باللهو وانصرفت   منه العزيمة للكراس والقلم

الشيخ عبد الرحمن بن قاسم :

جد عبد المحسن القاسم إمام الحرم النبوي ، ذهب الشيخ عبد الرحمن

للعلاج في لبنان ، و كانت هذه الرحلة فتحاً عظيماً للمسلمين . فطرأ له في هذا الوقت الطويل في فترة علاجه أن يجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ، فبدأ بهذا المشروع المبارك الذي دام أربعين سنة جمعاً لهذه الفتاوى ، و يرحل لأجل ذلك . ثم أكمل بعده ابنه الشيخ محمد بن القاسم ، و هو والد الشيخ عبد المحسن ، وكانا ربما يكتبان في الطائرة.

فمن صور حرص الشيخ عبد الرحمن على الوقت أنه كان ينتهز الفرصة في مزرعة و خلال إشرافه على العمال في حفر البئر ، و كان ينزل معهم ، أو يقف على شفير البئر ، فكان يكتب في حاشية الروض المربع ، التي تُدرّس اليوم في الجامعات و تُعدّ مرجعاً مهماً ، بل يقول بعض من ترجم للشيخ ابن باز : لا يكاد يمر على سماحة الشيخ ابن باز أسبوعان إلا و قد طلب حاشية الروض المربع لمراجعتها .

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

اهتمامه بالوقت معهود منه في زمن الطلب ، و رحلته الشاقة للحج خير دليل على ذلك . و قد رقمها في له مجلد لطيف بعنوان (رحلة الحج)، و هي من أمتع و أنفع الرحلات . و الرحالة المغاربة هم أرقى و أفضل من كتب الرحلات ، بالذات في الحج ؛ لبعد المكان و لاهتمامهم بالأدب و الشعر ، و لشدة شوقهم للبيت ، بخلاف المشارقة

و قربهم من البيت . فهذه من أسباب ضبطهم للرحلات.

و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي له رحلة الحج ، و قد ركب الدواب و القطار و السفينة و الطائرة ، كلها في هذه الرحلة . و قلما يمر ببلد إلا و يقف لعقد مجالس علمية و فتاوى . و الشيخ له في ذلك لطائف و طرائف ، و فوائد كثيرة أصولية و عقدية ، مبثوثة في رحلة الحج في مجموع كتب الشيخ رحمه الله .

الشيخ صديق حسن خان الحسني القنوجي الهندي :

تزوج ملكة الهند ، و هو عالم قبل أن يتزوجها . و استمر رحمه الله في العلم و التعليم ، و بذل العلم ، و هو على مذهب السلف في الاعتقاد و نشر السنة .

رحلته إلى الحج في السفينة استمرت ستة أشهر فقط . كان يقرأ طيلة الطريق في الكتب ، و قد وصف رحلته ، فقال : حتى مرت بنا أمواج كالجبال ، و حتى بلغت القلوب الحناجر و كانت القلوب و الأيدي و الأعين مرتفعة إلى الله ﷻ بالدعاء أن يسلمنا الله من هذا ، و مع ذلك لم أضيع شيئاً من وقتي ، حتى لما نزلوا في ميناء الحديدة للراحة في منتصف الطريق . و يقول : نزل الحجاج للتبضع و النزول للسوق ، و نزلت للكتب و المكتبات .

و نسخ بيده عدداً من كتب الشيخ الصنعاني . هذا ما قاله عن نفسه . و يردف ، فيقول : و انتفعت بكل وقت إلا في وقت أداء المناسك . حتى وقت الراحة ، كون الشخص يتخذ وقتاً للراحة و النزهة لا يعني أنه مهمل لوقته . فالإمام البخاري كان يخرج مع تلاميذه للنزهة ، و لا يعني أن الذي لا يخرج أبداً إما لبرٍّ أو بحرٍ أو سياحة ، و لا يخرج ، و لا يرفرف قلبه لمطر ، و لا ربيع ، و لا شيء من هذه المناظر ، لا يعني أنه حافظ لوقته . فقد يكون في داره مضيعاً لوقته ، قد يكون في البلد ما بين المجمعات و المعارض ، و المطاعم و أسواق الحراج ، فلا يلزم أنه من ذهب لن ينتفع بوقته . فالإمام البخاري يخرج مع بعض تلاميذه لبعض البساتين ، و الإمام الذهبي ألف بعض (تاريخ الإسلام) في البستان .

و كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحلة كل يوم خميس مع طلابه للصيد ، يأخذ البنادق ، و تكاليف الرحلة على حسابه . و نقل الشيخ العبودي عن شيخه الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، فيذكر عن الشيخ أنه مغرم برحلات البر ، و قلما يمر به أسبوع ، إلا و يخرج مع بعض تلاميذه ، و يستفيد بتلك الرحلة . و الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله إذا كان في الطائف لا يمضي عليه أسبوع هناك ، إلا و يذهب للردف ، بل ربما أقل من الأسبوع . فيذهب معه بالمعاملات ، و بعض الكتب قرئت عليه في الرحلة. و الشيخ ابن باز لما كان قاضياً في الخرج ، و هو

دون الثلاثين ، يخرج مع بعض أهل البلد لصيد الجراد ، و الشيخ عالم يُرحل إليه يخرج لصيد الجراد مع أهل البلد ؟ نعم ، خرج مع أهل البلد لطرد الجراد و صيده . و يخرج للنزهة ، كما ذكر تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن جلال ، المتوفى سنة ١٤٣٤ هـ . و كذلك الشيخ الألباني أيضاً كان يخرج مع بعض تلاميذه للبساتين و النزهة . و قد أخبرني أحد تلاميذه ممن خرج معه ، فيقول : إذا خرج ، صحيح أن هناك وقتاً للطرفة و الدعابة ، لكن كل الوقت منتفع به في العلم و التوجيه. و للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله نصيب من الرحلات ، فيخرج كل فترة مع طلابه لبعض المزارع ، و يدخل معهم و كان ينافسهم في المسبح .

فهذه بعض أخبار العلماء حتى في وقت الراحة و النزهة ، و لا يعد هذا عيباً ، أو منقصة للعالم ، بل بعض العلماء في أوقات الراحة أو النزهة لا يرضى بأن يُسأل عن أي مسألة علمية أبداً ؛ لأنه يعتبر وقت العلم في الدرس ، و في المسجد ، و في الأماكن الجادة . أما في وقت النزهة فتكون الأخبار و الأحداث و الحوادث ، و ما يتعلق بالكتب و قراءتها، و الطرائف و اللطائف .

الشيخ صالح بن غصون :

هو من علماء السعودية ، توفي قبل سماحة الشيخ ابن باز بسنة تقريباً ،

و قد سجل (نور على الدرب) قرابة الأربعة عشر عاماً المذيع الأستاذ الفاضل عبد الكريم بن صالح المقرن ، ثم أخرج كتاباً له عن تجربته مع الشيوخ الثلاثة : ابن باز ، ابن عثيمين ، و الألباني. و تكلم عن حفاظ الشيخ ابن غصون –رحمه الله– على وقته ، فيقول: كان الشيخ نموذجاً فريداً في محافظته على المواعيد و دقته ، كان لسانه قبل التسجيل و بعده لا يفتر عن ذكر الله و الدعاء ، و لا أذكر أن الشيخ على مدى هذه الأعوام اعتذر عن التسجيل أبدًا أو سوف.

و يقول: تعلمت منه أهمية الوقت في حياة المسلم ، و احترام المواعيد ، و الدقة فيها ، حتى سائق الشيخ أصبح دقيقاً في الموعد . فكان يأتي قبيل الآذان ، يقف عند باب المجلس. و يقول : لابد أن يوقف الشيخ التسجيل قبل الآذان بدقائق استعداداً للصلاة .

إمام اللغة ثعلب :

سبب موت ثعلب ، و هو إمام من أئمة اللغة الكوفيين ، كان في يده كتاب يطالعه ، و كان أصيب بالصمم الشديد .فمرت فرس في الطريق ، و لم ينتبه لها . فضربته هذه الفرس ، فسقط في هوة ، فأسعف و هو كالمختلط لا يميز و يتأوه ، حتى مات رحمه الله . هذا من القراءة في كل مكان و في كل حال . و كان الخطيب البغدادي يمشي و معه جزء يطالعه .

أبو نعيم الأصفهاني :

من الحفاظ يُقرأ عليه من الفجر حتى الظهر ، و ربما قرئَ عليه انتهازاً للوقت وهو عائد إلى داره . و هكذا كان فعل شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- ، فكان في ذهابه للمسجد ، و داره تبعد أكثر من كيلو عن المسجد ، ففي الذهاب لا يمشي مع أحد ، و لا يسمح لأحد أن يمشي معه . ينتفع بوقته بمراجعة حفظه و الدعاء. أما في رجوعه من المسجد فيمشي معه الطلاب لمن يريد مسائل الطلاق و الشفاعات والصرف إذا كان عنده من أموال الصدقات ، و إذا كان هناك ما يحتاج إلى توقيع أو كتابة أو تزكية ، أو نحو ذلك في المسجد ، ثم إذا رجع يرجع معه وفود ، و قد قرئت عليه بعض الرسائل و هو يمشي و سجلت ، و بعض الفتاوى أيضاً حفظت له و هو يمشي .

و الشيخ ابن عثيمين حتى في وقت الطلب كان يمشي مع شيخه السعدي إلى أي مكان ، و كان في مقتبل عمره يمشي مع شيخه يقرأ عليه حتى يصل لمكان الدعوة ثم يرجع .

النفع و الانتفاع بالعلم في وسائل المواصلات

كثير من العلماء كانت سيارته كالمجلس العلمي المتحرك . و البعض منهم استغل الممشى لبث العلم ، و هذه من أعجب طرق استغلال الوقت في الوقت الراهن.

فمن أسئلة السيارة أُصدرت أشرطة للشيخ الألباني -رحمه الله-.

كذلك قرئت عدة كتب على الشيخ ابن باز -رحمه الله- في السيارة ، و الطائرة ، و قد جمع تلك المسائل الشيخ عبد العزيز السدحان عنه . و يقول أحمد ابن الشيخ ابن باز : من ضبط الشيخ و دقّته أننا إذا قرأنا و نزلنا إلى مكان ، ثم لم نرجع إلى القراءة . فإنه بعد الرجوع في يوم آخر يتذكر أين وقفنا ؛ لأن همه و باله مشغول بالكتاب رحمه الله .

التعب في العلم

بذل الوقت الكثير في العلم سبب للتعب أحياناً . فقد أصيب الشيخ عبد القادر بن بدران -رحمه الله- بضعف في بصره من كثرة الكتابة . و كاد أن يذهب بصر ابن كثير -رحمه الله- لذات السبب .

و في حال المرض ، تجد منهم التعلق بالعلم قراءةً ، و تعليماً ، و مدارسة ، حتى مرض الوفاة ، فشيخ الإسلام ابن تيميه كان يطالع الكتب و هو

مريض ، فكان يقول له بعض الأطباء : لو رفقت بنفسك . فقال له : أنا أحاكمكم إلى علمكم ، ألا ترون أن النفس إذا ارتاحت تنشط ، ينشط الجسد و يدفع المرض ؟ قالوا : نعم . فقال : أنا أرتاح بالقراءة .

و كذلك الشيخ عبد الله بن عقيل – رحمه الله – كان ينتفع بوقته كل وقت ، بعد كل فرض له درس . و لك أن تتصور أن الشيخ قارب المائة و هو يُقرأ عليه في جميع الأوقات ، حتى في مرض وفاته ؛ لأنه أصيب بإغماء و أُدخل العناية . فكان إذا أفاق انتهز الفرصة بعض الطلاب فيقرؤون عليه ، و كان قبل ذلك قد قُرئت عليه كتب كثيرة . و كذلك الشيخ عبد الرحمن الدوسري في مرضه و ذهابه إلى لندن ، كان يزور المراكز الإسلامية ، و يلقي في المراكز و المساجد ، و كان قد ألقى مرة كلمة بعد صلاة الجمعة فأغمي عليه–رحمه الله – من شدة الإعياء و التعب ، فحُمل إلى المستشفى .

أحد الإخوة أخبرني أنه رأى الشيخ ابن جبرين –رحمه الله– كان قد رتب معه محاضرة في قرية في الجنوب ، فرأى الشيخ ، و ليس بشيء مستغرب من الشيخ ؛ لبذله الكثير من العلم . فيقول : كان الشيخ ينتظر عند محطة البنزين ، ينتظر من سيمر به ليأخذه للمحاضرة ، ويقول : فكان الشيخ قد طال به الأمر ، فجلس بكتابه على رصيف المحطة . فيقول: تمنيت أني صورت الشيخ . و في آخر صيف قبل مرضه ، قضى شهرين متتابعين في

الدعوة في عدة مناطق لم يرجع لبيته أبداً مدة الشهرين ، و كان بعض أبنائه المقربين منه و تلاميذه يذهبون معه أسبوعاً فيتعبون ، يملون من كثرة بذله ، ثم يأتي غيرهم ، يتناوبون على خدمة الشيخ . و هو لمدة شهرين لم يكل أو يمل . و عدد من المناطق و القرى النائية ، و بعض الجبال في جنوب المملكة ، والقرى في الشمال ، تتصور أنه لم يأتِها أحد من الدعاة ، لكن تسمع أن الشيخ قد خدمها بدورة أو محاضرة أو وليمة أو افتتاح مكتب دعوة . و هذا مشهور عن الشيخ رحمه الله في كثرة بذله .

و الشيخ محمد بن إبراهيم ، يقول عنه تلميذه الشيخ عبدالله بن منيع : كان يخدم الإسلام ثماني عشرة ساعة .

الوقت و التأليف

من نتائج ضبط الوقت و استغلاله ، و الانتفاع به ، ما يكون عند التأليف من الحاجة إلى الرجوع للكتب و المراجع . فمن لم يكن قد استغل وقته ، و اشتغل بالقراءة و الاطلاع ، و بخاصة من اشتغل بالعلم طلباً و تعليماً ، فإن لذلك فائدة كبيرة عند البحث و التأليف ، و بذلك يتمايز القارئ و المحافظ على وقته ، و من قضى وقته في اللهو و المسامرات و النزهات. من

ذلك ما كان مع بعض أهل العلم ، منهم :

الشيخ إحسان إلهي ظهير : و هو داعية سلفي تخرج من الجامعة الإسلامية و كان الأول على دفعته ، ثم رجع لباكستان ، و درس في كلية الحقوق و السياسة في البنجاب ، ثم حصل على الماجستير في الشريعة و اللغة العربية و الفارسية و الكردية ، مؤلفاته كثيرة ، و البعض منها يرجع في تأليفها إلى مائتي كتاب . و هي ليست بحوث جامعية ، إنما بحوث خاصة به ، لم ينتفع بها في ترقية جامعية ، أو منصب ، أو شيء . منها : كتاب (البهائية) راجع لتأليفه مائتين و ثمانية و ستين كتاباً ، و مراجع كتابه (الإسماعيلية) ثلاثمائة و اثنان و ستون كتاباً ، و مراجع كتاب (الشيعة) مائتين و تسع خمسون كتاباً . و هذا لانشغاله رحمه الله و اهتمامه بالدعوة ، و مناظراته مع الشيعة و الإسماعيلية و مع حصول المخاطر والأخطار له ، و قد قتل رحمه الله في مؤتمر في شأنهم .

العلماء ، و ترك الدنيا

من أراد بقاء العلم ، و نمائه في قلبه و ذهنه ، فعليه بقطع الشواغل و الصوارف لأجل العلم والتعليم . كما كان حال شيخ الإسلام ابن تيمية ، ترك الزواج ، مع أن صنيعهُ ليس حجة ، و لا يتابع عليه .

و لما أثنى الإمام أحمد على أحدهم . قالوا له : يا إمام ، هو لم يتزوج . قال أحمد : الآن وقعنا في بنيات الطريق . أي : وقوعهم في العثرات بترك سنة النبي ﷺ و سنة الرسل من قبله ، و نقلد أحداً من الزهاد ، أو العباد ، لم يتزوج . لكن المراد هنا أن شيخ الإسلام انتفع بوقته في العلم و التحصيل و التأصيل و التوصيل و نفع الخلق رحمه الله تعالى .

و على منوال ابن تيمية ، كذلك شيخ الحنابلة عبد القادر بن بدران الدمشقي لم يتزوج .

ترك المناصب و المشاغل و الشواغل لأجل العلم

الشيخ محمد بن إبراهيم طلب من الشيخ عبد الله القرعاوي أن يكون قاضياً فامتنع . ثم طلبه للتدريس في الحرم المكي فامتنع . و قد كان مشغولاً بالتجارة و الدعوة و التعليم ، فخرّج علماء أكابر في منطقة جيزان ، يكفيه فضلاً و شرفاً أن تخرّج عليه الشيخ حافظ حكمي فقط ، كيف و له تلاميذ كثر ، و علماء ، و مدارس افتحها في منطقة جيزان أكثر من المدارس التي انشأتها الحكومة في وقته ، فقد بلغت المدارس

أكثر من ألفي مدرسة بإشراف الشيخ و متابعته و شفاعته .
الشيخ عبد الرحمن السعدي أيضا نما إلى علمه أنه قد رُشِّح للقضاء ، فهرب إلى مكة ، حتى شفع له بعض المقربين من الملك عبد العزيز ، فعلم يقيناً أنه لن يكون قاضياً ، ثم رجع إلى عنيزة .

الشيخ محمد بن عثيمين أيضاً ، طلبه الشيخ ابن إبراهيم ليكون رئيس محاكم الإحساء ، فامتنع.
الشيخ عبد الرحمن الدوسري يقول مرة لبعض تلاميذه : أوجعتني عيناي فترة ، فأصابتني حالة نفسية و اكتئاب . فقلت : إذا أصابني عمى و أنا لم أحفظ القرآن ، فكيف لي أن أحفظ القرآن . يقول : كنت أحفظ سبعة أجزاء ، فحبست نفسي واحداً و عشرين يوماً ، فحفظت القرآن .و يقول : ما أخرج إلا للصلاة ، و أرجع . و كان الشيخ –رحمه الله– يتردد على التجارة ، ثم لما حُكّمت القوانين في الكويت خرج منها ، فمشغول بالتجارة ما بين البحرين و العراق . و من إتقانه للفقه كان يسمى (فهرس الفقه) ، و هذا مشهور بين العلماء ، و الشيخ عبد الرحمن الدوسري و إن كانت شهرته و شخصيته عند بعض الناس أنه مناهض للعلمانية و الماسونية و التحذير من أعداء الإسلام عُرض عليه أن يكون وزير الأوقاف في الكويت فامتنع ، و ذلك قبل تحكيم

القوانين ، ثم طلب في مرتبة وكيل وزارة في المملكة فامتنع . و قال : حتى أصير حراً في الدعوة إلى الله . و يقول : أتمنى أن أقوم بعمل عظيم و مركز إسلامي كبير في بلاد الهند . و هو مؤسس مجلة المجتمع ، و هو من مقترحي (مجلة الدعوة). و لما ترك الكويت أبقى أبنائه في المملكة ، و كان قد همَّ أن ينتقل لبلاد المغرب ؛ لنشر العلم و الدعوة ، و إقامة المراكز . و لوجاهته رحمه الله و تجارته يستطيع أن يأخذ بعض المال من تجار الخليج و حكامهم ؛ لينفع تلك البلاد ، لكن لم يحصل له ذلك ؛ لأنه رأى النفع أكثر في المملكة ، و قد رغب في الذهاب لبلاد أفريقيا للدعوة و التعليم ، لكن لم تتيسر له التصريحات ، و التي صدرت بعد موته . و كان باذلاً للعلم ، حتى في مقر العمل ، في الدكان .

الشيخ عبد الله القرعاوي : عند وصوله إلى جيزان ، كان تاجراً ، له دكان صغير ، و كان يعلم و يدعو في دكانه . فخرّج هذا الدكان عدداً من الناس من العوام انتفعوا ، و من طلاب العلم صاروا فيما بعد دعاة و علماء .

الشيخ أحمد بن عيسي : من علماء نجد ، ذهب للتجارة في مكة ، و كان دكانه قرب الحرم ، و كان لحسن تعامله و طيب أخلاقه أثر على بعض

المتصوفة . و أثر في التلمساني ، أحد مشاهير التجار الصوفية ، و التلمساني أثر في محمد نصيف ، أحد تجار و علماء و أدباء جدة . و ما من عالم كما يقول بعض من ترجم له إلا و قد دخل بيت نصيف ، أو أهداه كتاباً من كتبه ، لتجارته ، و وجهاته ، و كانت الحكومة إذا أرادت جمع العلماء و الوجهاء فإنما يجمعونهم في بيت محمد نصيف ، فهو وجيه جدة .

فالشيخ أحمد بن عيسى كان يعلم الناس من دكانه قرب الحرم ، و هو شارح نونية ابن القيم .

كذلك الشيخ فهد العبيد-رحمه الله-: من زهاد و عبّاد و وعّاظ بريدة ، كان صاحب دكان لإصلاح الساعات .

و الشيخ الألباني -رحمه الله- كان له دكان ساعات أيضًا يجتمع عنده بعض الناس لطلب العلم و التعليم ، حتى في وقت البيع و الشراء .

الانتفاع بالوقت في المجالس العامة

الشيخ عبد الرحمن السعدي كان إذا دعي إلى وليمة يقول لبعض المقربين منه من الطلاب : إذا رأيت المجلس فيه علم و أسئلة و فوائد ،

فدعنا نتكلم ، و إن رأيت فيه كلام في المباحات و مضيعة وقت ، فاسألني أي سؤال ، حتى لو كنت تعرف عن مسألة فقهية أو علمية . و هذه طريقته في مجالسه . فيتحول المجلس إلى فوائد .

الشيخ صالح البليهي : كانت طريقته قريبة لطريقة الشيخ السعدي ، فكان يجالس الناس ، و هو صاحب مزارع ، و له خبرة بالزراعة و التجارة ؛ فوالده كان تاجر أيضاً ، و له خبرة في السيارات و العلم و التعليم و الدعوة ، فكان إذا جلس مع العوام يتكلم معهم بما يريدون ، ثم يربط كلامهم بالعلم و الدعوة ، فيستحوذ على قلوبهم و يأخذ الوقت و الكلام إلى ما يريد .

الشيخ صالح الخريصي -رحمه الله- : كان من طريقته ، و طريقة بعض شيوخه من مشايخ بريدة أنه كان يستأذن من دعاهُ إلى وليمة أن يُحضر معه بعض الطلاب للقراءة ، فيكمل القراءة و الدروس التي كانت في المسجد و قد ضاق عليها الوقت ، فيكملون في بيت مضيّفهم . و هذه أيضاً وصية الشيخ محمد بن العثيمين -رحمه الله- ، و رحمهم الله جميعاً فيمن جلس مجلساً أن يُبدأ بمسألة فقهية ، فكان يقول : ما رأيكم في كذا ؟ ثم يبدأ الناس يتباحثون في المسألة ، و يتحدث في الفائدة .

قال ابن عقيل الحنبلي: أنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري .

و يقول : ما خالطت لعاباً قط ، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم ، وأنا في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين ، وبلغت لاثنتي عشرة سنة ، وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر و الفكر و الحفظ ، و حدة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلا أن القوة ضعيفة.

فهذه همة بن عقيل الحنبلي. و لسان حاله يقول كما علي بن محمد التهامي:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي　　و لا ولائي ، و لا ديني ، و لا كرمـــي

و إنما أعتاض رأسي غير صبغتـــــه　　والشيب في الرأس غير الشيب في الهمم

و من أخبار ابن الجوزي أنه قرأ بواسط و هو في الثمانين من عمره مع ابنه يوسف على أحد علماء القراءات . و كان ينشد من شعره :

الله أسأل أن يطول مدتـــــي　　و أنال بالإنعـــــــام ما في نيتـــي

لي همة في العلم ما من مثلهـــا　　وهي التي جَنت النحول هي التي

حلفت من الفلق العظيم إلى المنى　　دعيت إلى نيل الكمـــــال فلبَّت

كم كان لي من مجلس لـو شبهت　　حـــالاته لتشبهت بالجنـــــــة

وكما قال بعض العلماء : يمر بالقلب أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في

مثل هذا ، إنهم لفي عيش طيب.

ففي بعض مجالس العلم و التعليم و الدعوة يجد الإنسان من الراحة و السرور ما لا يجده أهل المال في أموالهم ، بل أهل اللهو في لهوهم .

و طلب العلم على كبر السن نعمة عظيمة ، و توفيق من الله للعبد ، أن اختاره لهذا الطريق الذي من سلكه مخلصاً فإن الله يسهل له به طريقاً إلى الجنة ، و هو من صور استغلال الوقت مادامت الروح في الجسد . من ذلك أن القفّال الشافعي بدأ بالطلب و عمره أربعين سنة ، و كان يريد الطلب ، ثم يتراجع . و كان من أسباب علوّ همته أنه رأى بئراً عليه الحبل للاستقاء قد أثّر بالصخر حول البئر . فكان هذا المشهد محركاً لهمته ، فطلب العلم وصار إماماً عند الشافعية . و هو القائل :

أطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا

أمــا ترى الحبل بتكراره على الصخرة الصماء قد اثرا

و ابن حزم ، بدأ بطلب العلم و قد جاوز السادسة والعشرين .

و يحيي النحوي صار إماماً في النحو ، مع أنه بدأ بالطلب بعد الأربعين ، و السبب أنه رأى نملة معها حبة تصعد شجرة ثم تسقط ، و تصعد ، ثم تسقط ، ثم صعدت و استمرت . فصارت سبباً لهمته -رحمه الله- ، فصار

إماماً في النحو .

العز بن عبد السلام لم يطلب العلم إلا على كبر ، و تعلم أصحاب النبي ﷺ على كبر سنهم ، كما هو معلوم .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : أثقل الساعات عليَّ ساعات الأكل . بينما ألذ الساعات عند بعض الأحبة هي ساعات الأكل ، فيزيد إيمانه .

و قال شعبة رحمه الله ، أمير المؤمنين في الحديث : ما رأيت شخصاً يعدو إلا قلت : مجنون ، أو صاحب حديث .

هذه نظرته للناس : إما مجنون ، أو صاحب حديث ؛ لأهمية استغلال الوقت عند طالب الحديث .

و كان جد ابن تيميه كما يقول عنه حفيده شيخ الإسلام : كان جدي إذا دخل الخلاء يأمر ابنه أن يقرأ عليه ، و يرفع صوته و هو في الخلاء ؛ لينتفع في هذا الوقت .

أحد العلماء من المعاصرين حفظ ألفية العراقي و هو يتوضأ ، و كان الذي يصب له الماء عند الوضوء ، و هو أعمى . فالذي يصب له الماء أو عند الصنبور يجعل أحد تلاميذه أو أهله يقرءون عليه بيتاً أو بيتين حتى حفظ ألفية العراقي .

أحد الشباب حفظ ألفية ابن مالك عند الإشارات في الرياض . عند

الإشارات يردد البيت و البيتين إلى الإشارة التالية ، حتى أتمها .
و بعض العلماء ربما سُئل ، وأفتى و هو يأكل ، أو و هو يغسل يديه ، كما هي حالة الشيخ ابن باز –رحمه الله– كثيراً لوجود الضيوف كل يوم عنده .

الرحلة في طلب العلم

رحل موسى عليه السلام ليتعلم ثلاث مسائل ، و اشتهرت رحلة جابر بن عبد الله مسيرة شهر لأجل حديث واحد .
و يقول سعيد بن المسيب : إني لأسير الليالي و الأيام لطلب الحديث الواحد .
هذه بعض أخبار العلماء في الانتفاع بالوقت ومقدمته إن شاء الله صارت مقدمة نافعة أو يسيرة وهي وسيلة للانتفاع بالوقت وربما يعني بعض الأخبار مر بورقة كانت جانبية، بعض الأخبار قد مر الكلام عليها.

استغلال الوقت في مرض الموت

يعلم الكثير ممن عاصر الشيخ ابن باز –رحمه الله – ما كان في مرض وفاته من التعليم ، و إلقاء الكلمات بعد كل صلاة في المستشفى ، و قراءة المعاملات عليه ، و هو في المستشفى .

كذلك الشيخ ابن عثيمين كان في تعليمه ، و درسه المشهور قبل وفاته دون العشرين يوماً ، و قد أنهكه المرض ، و كان اخر درس له في الحرم المكي .

و الشيخ القرعاوي أيضاً كان قد مرض بالملاريا ، و كان يدعو ، و يتكلم ، و هو على فراشه .